

بسم الله الرحمن الرحيم

الحلقة الثانية

إخلاص النية في الحج

الحمد لله الذي أعان بفضلله الأقدام السالكة ، وأنقذ برحمته النفوس الهالكة ، ويسر من شاء لليسرى فرغب في الآخرة . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير المرسلين ، وقدوة الطائعين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، حجاج بيت الله الحرام ، أهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (الحج وتركية النفوس) نتأمل فيها تركية النفوس من خلال إخلاص النية في الحج، ففي ذلك أثر عظيم على الحاج في حجه وبعده ، ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بإخلاص العبادة له ، كما في قوله سبحانه {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين} . كما حذر سبحانه وتعالى من الرياء كما في قوله سبحانه {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً} أي لا يرائي بعمله بل يعمل خالصاً لوجه الله تعالى^(١) . كما ذم المرائين في قوله {فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون. ويمنعون الماعون} .

كما حذر رسول الله ص من الرياء كما في مسند الإمام أحمد من حديث محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ، اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءَوْنَ فِي الدُّنْيَا، فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً...»^(٢).

أخي المستمع الكريم، إن الحج من الأعمال التي يدخلها الرياء من وجوه كثيرة ، إما بكثرة النفقة ، أو بجودة المركب وفخامته ، أو بحسن

(١) تفسير ابن سعدي ٨٨/٥ .

(٢) المسند ، حديث رقم ٣٣١١٩ (ترقيم إحياء التراث) .

المسكن وسعته في المشاعر، أو بكثرة الحاشية والأتباع ، أو بكثرة الحج وتكراره . ولذا فعلى الحاج أن يحرص على إخلاص نيته لله سبحانه وتعالى وأن يحذر من الرياء والسمعة في حجه في شيء مما ذكر أو نحوه .

إن نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام هو أتقى الناس لربه، وأخشاهم له وأكملهم زكاة لنفسه ، وأحرص الناس على حجه ، ومع ذلك فإنه ص يتعوذ من الرياء والسمعة في حجه ، لما ورد في سنن ابن ماجة من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: حج النبي ص على رجل رث، وقطيفة تساوي أربعة دراهم، أو لا تساوي، ثم قال: «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة»^(٣) .

وكم للنية الخالصة في الحج من أثر عظيم في زكاة النفس وفلاحها ، وهذا النفع العظيم يفوت على بعض الحجاج ، إذا فوتوا الإخلاص في حجهم ، وربما دخل الرياء في حج الإنسان من غير أن يشعر .

كان رجل من المتقدمين يحج ماشياً على قدميه كل عام فكان ليلة نائماً على فراشه فطلبت منه أمه شربة ماء ، فصعب على نفسه القيام من فراشه لسقي أمه الماء، فتذكر حجه ماشياً كل عام، وأنه لا يشق عليه ، فحاسب نفسه فرأى أنه لا يهونه عليه إلا رؤية الناس له، ومدحهم إياه ، فعلم أنه كان مدخولاً . أي مصاباً في الرياء بحجه ماشياً، وهو لم يعلم بذلك ، إلا حينما تأمل حاله في عمل لا يراه فيه الناس شاق عليه وهو أهون من الحج ماشياً .

وقال بعض التابعين : رب محرم يقول : لبيك اللهم لبيك ، فيقول الله : لا لبيك ولا سعديك ، هذا مردود عليك . قيل له : لم . قال : لعله اشترى ناقة بخمسائة درهم ، ورحلاً بمائتي درهم ، ومفرشاً بكذا وكذا ، ثم ركب ناقته ورجل رأسه ونظر في عطفه ، فذلك الذي يرد عليه ، ومن هنا استحب للحاج أن يكون شعناً أغبر ، كما في حديث المباشرة يوم يباهي الله عز وجل ملائكته عشية عرفة، بأهل عرفة فيقول انظروا إلى عبادي أتوني شعناً غبراً^(٤) .

(٣) كتاب المناسك ، حديث رقم ٢٨٩٠ .

(٤) مسند الإمام أحمد .

قال رجل لابن عمر : ما أكثر الحجاج! فقال ابن عمر : ما أقلهم . وقال شريح الحاج قليل والركبان كثير ، ما أكثر من يعمل الخير ، ولكن ما أقل الذين يريدون وجهه .

أخي المستمع الكريم ، أيها الحاج ، وفي جانب مهم من تركية النفوس المتعلق بإخلاص النية في الحج تأمل قوله ص «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» ومن أهم صفاته أن يكون خالصاً لله تعالى ، فإذا وفق الحاج إلى الحج المبرور ، كان أعظم زكاة لنفسه ، بدليل أنه يجزى به الجنة ، ولا يدخل الجنة إلا نفس زكية ، وقد أخبر الله سبحانه عنها بقوله { قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها } .

أخي المستمع الكريم ، إن كنت ممن عزم على الحج أو ممن شرع فيه ، فاجتهد وفقك الله في إخلاص نيتك لمولاك ، تزكو بذلك نفسك ، وتذكر فلاحها ، واعلم أن الإخلاص ليس بالأمر الهين ، بل هو مما يحتاج إلى مجاهدة النفس عليه . قال أيوب : «تخليص النيات على العمال، أشد عليهم من جميع الأعمال» ، وقيل لسهيل : أي شيء أشد على النفس ؟ قال : الإخلاص ، إذ ليس لها فيه نصيب» . وقال بعضهم : «إخلاص ساعة نجاة الأبد ، ولكن الإخلاص عزيز»^(٥) .

واعلم أيضاً، أنه لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص لله عز وجل ، كما في قوله سبحانه وتعالى حكاية عن إبليس { قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين } ، وروي أن أحد الصالحين كان يقول لنفسه : «يا نفس أخلصي تتخلصي» .

أخي المستمع ، اعلم أن كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ، ويميل إليه القلب ، قل أم كثر ، إذا تطرق إلى العمل ، تكدر به صفوه ، وزال به إخلاصه ، والإنسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته ، قلما ينفك فعل من أفعاله ، وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذا الجنس ، فإن الإنسان الذي يغلب على نفسه حب الدنيا ، والعلو ، والرياسة ، وغير من الأمور الدنيوية ، فلا تسلم له عبادة من حج وصوم وصلاة ، وغير ذلك إلا نادراً .

(٥) تركية النفوس وتربيتها ، كما يقره علماء السلف ص ١٦ .

وإذا كان الأمر كذلك فإن علاجه في علاجه كسر حظوظ النفس ،
وقطع الطمع في الدنيا ، والتجرد للآخرة ، بحيث يغلب ذلك على قلبه ، فإن
ذاك يتيسر به الإخلاص . وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها ، ويظن أنها
خالصة لوجه الله ، ويكون فيها من المغرورين ، لأنه لم يدرك وجه الآفة
فيها .

أيها المستمعون الكرام ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يوفقنا
لصلاح ديننا ودنيا وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم في حلقة أخرى أستودعكم الله ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .